


# تقديم الاستعمار الاستيطاني والصراع بين الفلسطينيين والحركة الصهيونية

## Introduction Settler Colonialism and the Palestinian–Zionist Struggle


 حينما خططت دورية عمران للعلوم الاجتماعية لنشر عدد خاص حول الاستعمار الاستيطاني، وتحديداً في فلسطين، كانت تهدف إلى تحقيق هدفين رئيسين؛ يتمثل الأول في وضع الحالة الفلسطينية تحت مجهر النظرية النقدية للاستعمار الاستيطاني، من أجل تفكيك السردية الصهيونية في فلسطين وممارساتها التي تتقاطع في بعض عناصرها مع أشهر الحالات الاستعمارية الاستيطانية في التاريخ الحديث (الحالة الأميركية، وحالة جنوب أفريقيا، والحالة الأسترالية... إلخ)، في حين يتمثل الهدف الثاني في جسر الهوة بين الاستخلاصات المعرفية التي توصلت إليها النظرية النقدية للاستعمار الاستيطاني من جهة، وتمثيلات الحركة الوطنية الفلسطينية للصهيونية وأسسها وممارساتها من أجل توضيح المسار النضالي التحرري ضدها، من جهة أخرى.

إلا أن زخم تفاعل الباحثين مع الموضوع كان أوسع كثيراً مما خطط له، فأضافوا إلى الموضوع بُعداً إمبريقياً وأدياً مُركّزاً على الحالة الفلسطينية، وهو ما ساهم في تقريب مجهر المشاهدة أكثر فأكثر إلى التجارب الحياتية للفلسطينيين الذين يعيشون تحت وطأة الاستعمار الاستيطاني في كل أبعاده، والذين يواجهون في كل لحظة آلياته المادية والذهنية المُسخِّرة للهيمنة وطمس حقيقته اللاشعرية، من دون إهمال البعد النظري النقدي لدراسة الحالة؛ ما سمح بتخصيص دورية عمران لعدد ثانٍ للموضوع في هذا الشأن.

يجمع هذا العدد سبع دراسات متنوعة؛ اثنتان منها لأشرف بدر وأباهر السقا، واصلًا من خلالهما النقاش النظري بشأن مفاهيم ومنطلقات الصهيونية وعلاقتها بالاستعمار الاستيطاني في فلسطين. وقد طرح بدر سؤالاً عن كيفية التمثل المعرفي للحالة الاستعمارية الفلسطينية؛ أهي بنية أم صيرورة ديناميكية تكيفية؟ في حين دعا السقا إلى إعادة التفكير في الأطر المفاهيمية السائدة لتحليل السياق الفلسطيني الاستعماري. أمّا طارق دعنا، فيشرح العلاقة العضوية بين التطور في مجال الإنتاج العسكري - الأمني الإسرائيلي وبنية الاستعمار الاستيطاني في فلسطين، مسلطاً الضوء على ممارسات إسرائيل التي حوّلت الفلسطينيين إلى حقل تجارب لاختبار أسلحتها.

وفي السياق الذهني ذاته، بينت ميكايلا سحر كيفية تواطؤ سرديات الأنظمة الاستعمارية الاستيطانية مع بعضها، متتبعاً المساعي الصهيونية في اختراع وفبركة علاقات رمزية مع السكان الأصليين في أستراليا، وتوظيفها لخدمة الادعاء اليهودي الإسرائيلي بالأصلانية، ونفي الفلسطينيين، وهم سكان البلاد الأصليون، من تاريخ الأرض قانونياً ومجازياً. وقد عززت رنا بركات، من زاوية أخرى، فكرة سحر حينما طرحت سؤالاً عن كيفية قراءة المجزرة في فلسطين، وتحديدًا مجزرتي الطنظورة وكفر قاسم، ودور مقولة التاريخ الأصلي - من خلال الرواية الفلسطينية للأحداث - بوصفه منهجية تاريخية تخدم المشروع التحريري الفلسطيني وتقاوم سلطة الأرشيف الكولونيالية. أما صوفي ريختر - ديفرو، فقد درست إمبيريقياً كيف أن الرأسمالية الاستيطانية في فلسطين تُنتج متغيرات النوع الاجتماعي والطبقة والعرق وتستغلها لترسيخ واقعها وسرديتها، كاشفةً عن مقاومة النساء البدويات الفلسطينيات في النقب للواقع الذي فرضته عليهن هذه العلاقة. وأخيراً، عالج عبد الرحيم الشيخ في دراسته علاقة الأسير الفلسطيني وليد دقة بالنظام الصهيوني، عبر اللغة العبرية، في ثلاث جغرافيات، هي: الهامش الريفي المستعمري (القرية: باقة الغربية)، والمركز الحضري الاستعماري (المدينة: "تل أبيب")، والأسر الصهيوني (السجن: المكان الموازي)، مثيراً الإشكالية المعقدة للعلاقة باللغة: الكتابة الفلسطينية المقاومة باللغة العبرية "غنيمة حرب"، في مقابل تحول فلسطين بأسرها إلى "غنيمة حرب" صهيونية!

كل هذه الدراسات تُلقي خيوط ضوء متعددة حول الحالة الفلسطينية؛ ليس بوصفها حالة معرفية فحسب، بل بوصفها أيضاً حالة تاريخية تنبض بالحياة المقاومة، وبالتوق إلى كسر قيود الاحتلال والتحرر.

هيئة التحرير